الأدب والأسطورة النماذج الأسطورية:بيجماليون

الأستاذة راوية رحايلي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة سوق آهراس

ماي 2024 1.0

Paternité - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification : http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/1.0/fr/

Table des matières

Introduction **3**

I - 4 **الأسطورة والأدب**

II - 5 **الأسطورة الأدبية**

III - 6 **نموذج أسطوري في الأدبين الغربي والعربي**

1. 6 ..... ملخص الأسطورة

2. 6 ..... مسرحية بجماليون لجورج برنارد شو

3. 6 ..... مسرحية بجماليون لتوفيق الحكيم

4. 7..... نقاط التشابه

5. 7 ..... نقاط الاختلاف

Conclusion **8**

Introduction

تَدرج مفهوم الأدب المقارن،فبعد أن كان محصورا في الآداب الأوربية ومقيدا بعقدة التفوق والتميز لآدابهم،وقولبته في فكر إقصائي انفتح على الآخر وأقر بانتمائه إلى الجماعة،واُعتبر التأثر بالآخر أمرا لا مفر منه،بغض النظر عن هذا الآخر مادام يعبر عن النموذج الإنساني سواء كان هذا النموذج بشريا أو مستمدا من مصادر أسطورية أو تاريخية أو دينية... فكانت هذه النماذج مواطن تلاقي الآداب و تلاقحها ولكل منها طريقته في الطرح ،فاحتفظت بملامحها عند البعض واختلفت عند الآخرين،وتشابهت في مواقع واختلفت في أخرى،ومن أبرز النماذج تعرضا لدى المبدعين و التي أصبحت محورا وميدانا ومجالا فاعلا ونشطا في الدرس المقارن النماذج الأسطورية.

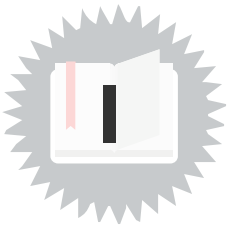

الأسطورة والأدب

قد يبدو غريبا في البداية الربط بين هذين الشكلين،فهما يختلفان طبيعة وشكلا ووظيفة ونشأة،فالأسطورة تمثل الفكر الإنساني الأول أو كما أطلق عليها فراس السواح "مغامرة العقل الأولى"،في مراحل تطور اداركه اللغوي و إجابته عن التساؤلات الوجودية واكتشافه لنفسه ولعالمه ولعلاقاته مع الطبيعة والجماعة التي ينتمي لها،فاختار هذا الشكل السردي الخيالي التفسيري المقدس الذي اكتسب خصوصيته من مكان وزمان نشأته فيه،كما تلاقي مع غيره من الأساطير التي اشتركت معه في الطرح الإنساني والوجودي..

ورغم الاختلاف الظاهري بين الأدب والأسطورة إلا أن العلاقة بينهما هي علاقة متجدرة ومتداخلة ومعقدة،بل إن أغلب الأساطير التي وصلتنا جاءت في قوالب أدبية متعددة بدأت بالملاحم وصولا للأجناس الشعرية منها،والسردية كذلك كالرواية والمسرحية ...،ومازال هذا التزاوج بين هذين الشكلين لوقتنا الحالي رغم التطورات الفكرية والمعرفية ، لتخرج الأساطير من هذه الهالة القدسية إلى الإطار الفني والجمالي والأدبي.

وهذا ما يؤكد هذه الصلة بينهما لأن الأدب لا يتعامل معها باعتبارها موضوعا أو مادة بقدر ما يراها شكلا من أشكال الدلالة والرمزية و الإيحاء وصورة من صور الانزياح وقناع يتخفى وراءه،هذا ماساهم في ديمومتها ومسايرتها للحركة الإبداعية والأدبية،فأخرجها من الهالة التقديسية إلى التوظيف الفردي والبصمة الخاصة،كما ساهمت الأسطورة أيضا في تغذية الأدب و اثراءه.

الأسطورة الأدبية

توجد صلة وثيقة ومستمرة بين الأدب والأسطورة لوجود تشابه بينهما سواء من حيث البناء السردي أو الاستعانة بالخيال في التشكيل الفني لهما،رغم أن كل منهما يمثل خطابا خاصا له بعده المعرفي والقصدي،لذا أصبح موضوع الأسطورة والأدب من المسلمات النقدية التي تناولها حقل النقد الأدبي ثم الدرس المقارن،لما للأسطورة من روابط بالأدب وما للأدب من انفتاح على الأسطورة ولا غرابة في ذلك طالما أن الإنسان هو منتج الأسطورة وأن الأدب يعبر عن الإنسان،وقد نشأ من هذا الارتباط مصطلح أثار اهتمام المبدعين والنقاد والمقارنين "الأسطورة الأدبية"وهو مصطلح وليد القرن العشرين.

ويطلقه بعض المقارنين الفرنسيين على الإبداع الأدبي ذو الملامح الأسطورية فقط،وأطلقوا مصطلح "الأسطورة المؤدبة" على الأسطورة التي فقدت قداستها فتدنست وتحولت أدبا،وكلاهما يمثل بناء محكما ذا إيحاءات رمزية وميتافيزيقية أو مقدسة ،فالمؤدبة تنطلق من نص تأسيسي أسطوري غير أدبي ناتج من إنتاج جماعي شفوي قديم،أما الأدبية فلا يستند نصها الأدبي إلى أية أسانيد خارجية عنه،وإنما يصدر عن إبداع فردي انتقى من الإرث الأسطوري الخصائص والملامح الرمزية و الإيحائية التي تثري موضوعه وتغذيه فتلبسه هالة أسطورية *1*

ونتيجة هذا التداخل بدأت الأسطورة تتسلل إلى كافة الآداب الإنسانية ولم تقتصر على أدب واحد،وتعدت حدود القطر أو الحيز الأوربي والغربي بل تجاوزته للآداب العربية الحديثة منها والمعاصرة أيضا،وقد ساهم في هذا الانتشار الكبير حركة النشر والتأليف،وتفعيل التواصل والاتصال العلمي خاصة،وانتشار اللغات الأجنبية وحركة الترجمة،كما لم يتقيد هذا التداخل الأسطوري الأدبي بجنس فني محدد بل تفاعل مع كل الأجناس من شعر ونثر.

نموذج أسطوري في الأدبين الغربي والعربي

1. ملخص الأسطورة

حكاية فنان من قبرص يدعى 'بيجماليون' هام بتمثال من صنعه لامرأة بارعة الجمال فرجا أفروديت آلهة الحب(فينوس آلهة الحب الرومانية) ،أن يتزوج من امرأة تشبه التمثال ففعلت أكثر من ذلك ووهبت التمثال نفسه الحياة ،وسمى التمثال الحي 'جالاتيا'،وتزوجها وتتحول بعد ذلك لمجرد زوجة و امرأة كغيرها من النساء ولا شيء يميزها عنهم،فتنزل قيمتها في نظره بعد أن تملكها الغرور والتكبر ويندم على ما قام به،فيرجع إلى أفروديت ويطلب منها أن ترجعها كما كانت تمثالا،وبعد أن ترجع لطبيعتها يقوم بكسر التمثال.

فلم يكن هذا النموذج مصدر الهام لفنان قبرص فقط،بل تحولت أسطورة بيجماليون إلى رمز الهام الكثير من المبدعين،أول من تحدث عنها في الأدب 'أوفيد' في قصصه 'المسخ'،ثم تناولها شعراء وأدباء من مختلف الآداب،منهم 'جون مارستون' في قصيدته' نفخ الروح في صورة "بيجماليون'،ثم ملهاة "وليام شوبنك جلبير" 'بيجماليون

كما استحوذت الأسطورة على اهتمام الأدباء المحدثين،ومن أشهر الأعمال الأدبية التي دارت حولها مسرحيتان أولاهما ملهاة إنجليزية ألّفها الكاتب الإيرلندي جورج برنارد شو عام 1912م ، والمسرحية الثانية مأساة باللغة العربية كتبها الأديب المصري توفيق الحكيم عام 1940م.

2. مسرحية بجماليون لجورج برنارد شو

تدور أحداث المسرحية حول البروفسور 'هنري هيجينز' أستاذ علم الصوتيات، الذي يراهن صديقه 'الكولونيل بيكرنغ' على أنه يستطيع تدريب الفتاة الفقيرة 'إليزا دولتيل'بائعة الورد الريفية المظهر والسوقية الكلام،إلى سيدة أرستقراطية لأداء دور دوقة في حفل يقام في حديقة السفير وذلك من خلال تعليمها أصول الأرستقراطية.

فيرى أن أهم ما يجب أن تتعلمه في هذه الأصول هو التحدث بشكل سليم،و خلال فترة نجحت اليزا في الاختبارات التي أجريت لها ويصطحبها 'هيجنز' ليقدمها إلى الحفل على أساس أنها دوقة دون أن يكشف سرها لأحد،و تتصرف 'اليزا' وتحسن التصرف كدوقة حقيقية ، نطقا و فهما و أناقة و يكسب بذلك هيغنز الرهان،و بعد ذلك انتبهت اليزا إلى أن الرجلين لا يقيمان أي وزن لدورها في النصر ، و أكثر ما يؤثر فيها موقف هيغنز حيث أنها بدأت تميل إليه ووقعت في غرامة من دون أن يلاحظ هو شيئا و أنة يتجاهلها تماما معتبرها مجرد مادة أجرى عليها اختبارا ناجحا،و بعد أن تيأس اليزا من قدرة هيغنز على فهم ما بها،وبعد أن صارت أكثر ثقة بنفسها و قدرة على مجابهة الحياة إلا أن تعلن أمامه بأنها ستتزوج شابا صديقا له هو'فريدي' الذي كان يطاردها منذ زمن بعيد ،كما أنها تعلن إنها لن تعود لبيع الزهور بل ستصبح أستاذة صوتيات مثله تماما بل سوف تنافسه في ذلك .

فناقش برنارد شو عبر هذا السرد المسرحي قضايا متعددة منها ماهو ظاهر ومنها ماهو خفي جسدتها بطلة المسرحية -

3. مسرحية بجماليون لتوفيق الحكيم

- مسرحية فكرية ذهنية كما أشار توفيق الحكيم في أكثر من موضع في المسرحية،تدور حول الصراع بين الحياة والفن الأبدي متأثرا فيه بالأثر اليوناني والتراث العربي،وبعد مشاهدته للوحة 'بيجماليون'و'جالاتيا' في متحف اللوفر قبل 17 عام من تأليفه للمسرحية،ثم أعاد تذكيره بها مشاهدته لمسرحية (بيجماليون) لبرنارد شو في شريط من أشرطة السينما " عام 1938م .2

  تبدأ بحراسة الفتى 'نرسيس' لتمثال جالاتيا الذي نحته الفنان بجماليون وهام به،و في أحد المرات بخروج نرسيس من القاعة يدخل إليها كل من إله الفن 'أبولون' وآلهة الجمال والحب 'فينوس' ويقع نظرها على التمثال ،لينبهرها بروعته الفنية وجماله البارع،وكان عملا وفرصة لتحدى 'أبولون' وتفاخره على فينوس لأنه من صنع بيد بشر هالك،وبعد مضي وقت يذهب بيجماليون متوسلا لفينوس أن تبعث الحياة في تمثال 'جالاتيا '،وتتحقق له رغبته وتصبح زوجته ،وحين تسأله عن عمله يخبرها أنه صانع تماثيل وأنه قد كسب أموالا كثيرة ليبتاع بها لزوجته هذه الجواهر والحلي والملابس الفخمة ويحدثها عن تمثاله الذي أودع فيه كل عبقريته الفنية ويصف لها جماله وروعته وحبه له ، مما يبعث الغيرة في قلبها وهي لا تعلم أنه يتحدث عنها،ثم تهجر زوجها وصانعها وتهرب إلى الغابة مع نرسيس،ليندم بجماليون على كل ما حدث حيث كانت جالاتيا تمثالا رائعا وهي الآن زوجه خائنه وهو يرى أن فينوس آلهة الحب سبب هذا كله فلولا استجابتها لندائه لما تحول تمثاله إلى امرأة يعتريها النقص بعد أن دبت فيها الحياة،ومنذ أن عادت جالاتيا من الغابة وهي تحاول أن تتودد إلى بجماليون ولكنها تحس بنفور شديد منه ،ويحس بجماليون بفتور شديد في علاقته بزوجته ومصدر ذلك أنه دائم التفكير في تحفته التي صنعها ،وهو دائم المقارنة بين تمثاله وبين زوجته حيث يتميز التمثال بجماله الخالد وزوجته تعاني من جمالها الفاني،وتحس جالاتيا أنها لم تعد في نظر زوجها إلا رمزا على الفناء والتشويه ، فتطلب منه أن يفترقا قبل أن يدركها الهرم والموت

وما أن سمع بجماليون هذه الكلمات حتى دب الرعب في قلبه وحس أن تحفته الفنية توشك أن تضيع منه إلى الأبد فيذهب إلى المعبد، ليطلب من فينوس أن تعيد إليه تمثاله وتأخذ زوجته،وتستجيب له الآلهة فتعيد جالاتيا إلى ما كانت عليه تمثالا لا حياة فيه ، ولكن بجماليون يندم فيعود فيطلب من الآلهة أن تعيد له زوجته ويظل هكذا حائرا بين الفن والحياة ، بين جالاتيا المرأة و جالاتيا التمثال حتى يقرر أن يحطم تمثاله الذي جلب له كل هذا العذاب ثم يموت .

4. نقاط التشابه

- "انطلاقا من نفس المصدر "الأسطورة اليونانية
- 'كلاهما نفس الجنس الأدبي 'المسرحية
- تشابها في عنوان المسرحية وحافظا على اسم الأسطورة أيضا
- لجأ إليها لتوظيفها توظيفاً فنياً في معالجة قضايا اجتماعية وفكرية عصرية شغلت كلّ منهما في العقدين الثاني والرابع من القرن العشرين
- بنا عملهما على فكرة التغيير والتحول.
- كلاهما لم يختارا الإنسان بيجماليون برنارد شو فضل العلم وبيجماليون الحكيم فضل الفن
- التقارب في بعض الأحداث هروب اليزا لفريدي وجالاتيا لنرسيس،والشخصيات أيضا وبناءها.
- اعتمادهما الأسطورة كقناع ورمز لمعالجة قضايا معينة.
- التقابل في الصراع الذي عايشه كل من بطلي المسرحيتين.
- الاشتراك في فكرة المرأة الحب والنهاية غير السعيدة لهذا الحب.
- تحديثهما للأسطورة وصبغتها بطابع عصريهما وقضاياه.

5. نقاط الاختلاف

- مسرحية برنارد شو ملهاة و مسرحية الحكيم مأساة
- مسرحية برنارد شو انتهجت المنهج الواقعي فالمجتمع الانجليزي مجتمع الطبقية والتمييز حتى في اللغة،أما مسرحية توفيق الحكيم كانت ذهنية فكرية
- بيجماليون برنارد شو بني على موقف اجتماعي وفكر اشتراكي رافض للطبقية في مجتمعه أما بيجماليون الحكيم فاتخذ من الأسطورة تشيكلا فنيا وفكريا وذهنيا ورمزيا نموذج الإنسان الباحث عن الحقيقة من خلال الفن
- مسرحية برنارد شو تعالج قضية الفن والحياة وبيجماليون الحكيم الفن والفن.
- بيجماليون برنارد شو لم تتمسك بتفاصيل الأسطورة على عكس بيجماليون الحكيم.
- مسرحية برنارد شو سار في حبكة واحدة نسخة من الحبكة الأصلية أما مسرحية الحكيم فأدمج حبكة ثانوية بالاضافة إلى الحبكة الأصلية 'بيجماليون وجالاتيا'.
- برنارد شو لم يلتزم بالشخصيات الأسطورية والتسميات على عكس الحكيم.
- شخصيات برنارد شو واقعية أما عند الحكيم فكانت أسطورية.
- اختار برنارد شو عالم صوتيات بطلا لمسرحيته في حين توفيق الحكيم التزم ببطل الأسطورة الفنان النحات الموهوب والمنعزل
- الصراع في مسرحية برنارد شو كان خارجيا أما عند الحكيم فكان داخليا
- تجسد الصراع عند برنارد شو في شخصية 'اليزا'أما عند الحكيم فجسده البطل 'بيجماليون' فكان صراعا بين الإنسان ونفسه والإنسان والحقيقة والإنسان والزمن والإنسان والفن والفن والحياة ،أي بين مايريده الإنسان والفنان ويريد تحقيق المستحيل بجمعه بين الفني والواقعي.
- انصف برنارد شو المرأة في مسرحيته في حين لم يستطع الحكيم
- اتخذ بيجماليون من الأسطورة قناعا لفكرته الإشتراكية أما الحكيم من الأسطورة قالبا لفكرته الوجودية لذا اختلفا في النهاية

Conclusion

وكان هذا النموذج التطبيقي شكلا من أشكال تداخل الأسطورة والأدب،ورغم أن توفيق الحكيم لم يعترف بتأثره بمسرحية بيرنارد شو إنما بالفيلم الذي أقتبس منها و بالأسطورة اليونانية،إلا أن هناك ملامح تشابه كبيرة بين العملين،ومع ذلك كانت مسرحية الحكيم أكثر عمقا فأعاد فيها صياغة الأسطورة اليونانية برؤيته وطرحه الفكري اضطراب فنان،كما أن لقاءه بالأسطورة كان أكثر من لقاءه بمسرحية برنارد شو.